

قوة السر التي تثبت نخلا وسنايل
تثبت الشعب المقاتل

ان غدوى طوقان ابنة نكبتين ، ولكن شتان ما بين فعل الاولى بها واثر الثانية فنكبة عام ١٩٤٨ فجرت فيها ينابيع الحزن السديمي ، فمشغلت بذاتها عن قضيتها المصرية ، فهومت على هذه الذات تنزح منها الرغاب والتصورات والخيالات الشاحبة المتعبة ، واما نكسة عام ١٩٦٧ فقد فعلت بها فعلها العجيب : قلبتها رأسا على عقب من شاعرة لا هم لها الانفسها وما يدور في هذه النفس من الانفعالات والذكريات والهواجس الى شاعرة تحكي عن كل شيء يخدم قضية الخلاص من الاحتلال الصهيوني الشرس لوطنها، فترسم بالفاظها الربا بالعاطفة النبيلة صور البطولة والكفاح اليومي من أجل الحرية، وتنسى في زحمة هذه العملية الجادة ذاتها بل تخفق ما يضطرب فيها من انتفاضات داخلية خاصة وبهذا تتيح لصوتها الشعري ان يزداد أصالة وابداعا .

ولم تنف غدوى طوقان عند حدود تجربتها الفنية كواحدة من رائدات الشعر الحديث، بل تطورت تطورا واضحا في قصائدها الاخيرة التي ضمها ديوانها الجديد « على قمة الدنيا وحيدا — من منشورات الاداب » فأصبحت من ناحية البناء المعماري لقصيدتها تعتمد على الشكل الدرامي وما يتيح من أجواء متنامية تفسح مجالا لطلقا لرسم الموقف الشعري ، وعلى المقاطع الموسيقية الطويلة المتتابعة بنمط حار متلاحق بدل الشطرة المحدودة التفعيلات المغلقة الايقاع ، مما اتاح لشاعريتها ان تلحق بركب التجديد الدائم . . نلاحظ هذا في قصيدتها « مع الحزن المعتق » التي اهدتها الى زميلها الشاعر « سميح القاسم » وفيها تقول :

وعند انهيارات جسر التواصل ، حاولت
حاولت ، حاولت ، لكي
ولم يبق مني على راحتك سوى غيبه
تجدد فيها الشرار
وغاب حضوري ، رحلت بعيدا وغصت
بعيدا الى القاع ، غصت انادم حزني
اعاقره في غيابة جب بغير قرار

ورغبة من الشاعرة في سريلة قصيدتها بوشاح من التجديد الشكلي ، واغنائها بمظهر جذاب ، عمدت الى امتعارة بعض وسائل الفن القصصي ، واستعملتها في عدد من قصائد هذه المجموعة على الشكل التالي :

١ — استعمال الحوار الحركي : حيث جعلت الشاعرة الحوار عصب القصيدة ومرتكزا الاساسي ومحورها الذي تنامي من خلاله واثرت به بفيض من التمدق والحرارة فأصبح يهوج بالحيوية والاشارات الخفية احيانا ، ووخز الدبابيس والايجاج احيانا اخرى ، والنعومة الشاعرية والترقرق الوجداني احيانا ثالثة :

— لعلك مثل غريبة
وتنفصل القطرتان عن المد ثم تفيبان
بين زوايا حديثه
— تحبين اوزبورن ؟
— ومن لا يحبه ؟
— عجائز انكلترا المحيطون وضباطها
الاملون مع الشمس « غرب السويس »